الأخـــوة فـــي اللــــه

26.02.10

الحمد لله الذي هدانا لدين الإسلام، وأتم علينا نعمته بكتابه ونبيه عليه أفضل الصلاة وأتم السلام.. أما بعد:

فإن رابطة الأخوة في الله أعظم رابطة على وجه الأرض، وهي التي تبقى إذا ذهبت بقية الروابط والصلات، سواء كان ذلك في الدنيا أم في الآخرة، فأما في الدنيا فقد شاهد الناس وعايشـــوا أممـــاً ودولاً وقوميـــات ارتبطـــت بعنصريات ضيقة ودويلات محدودة، وقبائل متناحرة، سرعان ما ذهبت إلى غير رجعة ولم يبق منها إلا ذكر الديار والأطلال، وبقيت الأخوة الإيمانية منذ أن خلق الله آدم إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة.. وأما في الآخرة فإن كـــل رابطة على غير الإسلام تصبح لعنة على أصحابها، كما قال تعالى: {الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} (67) سورة الزخرف.

والأخوة في الله من أوثق عرى الإيمان، وقد ثبتت رابطة الأخوة بين المؤمنين بقوله تعالى ذكره: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُـــــونَ إِخْوَةٌ} الحجرات: 10، فهي رابطة عقدت بعقد الله سبحانه وتعالى. ويصف الله تعالى حال المـــؤمنين الصـــادقين بقوله: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) التوبة: 71.

أيها المسلمون: ما أجمله من شعور، أن نشعر بأن كل موحد على وجه الأرض هو أخ لنا، له من الحقوق مـــا لـــه وعليه من الواجبات ما عليه، في أي بقعة كان ومن أي شعب أو لغة كان ما دام على عقده وميثاقه التوحيـــدي مع الله سبحانه وتعالى، فالأخوة الإيمانية فوق كل الحواجز والعلائق الأرضية، وفي هذا إلمـــاح إلى ضـــلال أولئك الذين يفرقون المسلمين والموحدين على أساس ولاءات عصبية، وجنسيات مقيتة، تفتت الأمة وتمزقها، وتضـــع الحدود التي تفصل بين أبنائها.

ورحم الله القائل:

يا أخي المسلم في كل مكان وبلد ** أنت مني وأنا منك كروح في جسد

وقد شبه الرسول -صلى الله عليه وسلم- الأخوة الإيمانية بالجسد الواحد فقال: (مَثَلُ الْمُـــؤْمِنِينَ فِـــي تَـــوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)مسلم، فهي فوق أخوة النسب، وأخوة القبيلة والوطن ...هي فوق كل الأخوات الأرضية ...تسمو عليها وترتقي لتلتقي على نفحة الوحي السماوية.

وامتن الله تعالى على المسلمين بهذه الرابطة العظيمة فقال: {وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْـــنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُـــمْ تَهْتَدُونَ} (103 آل عمران).

عباد الله: لقد دلت الأدلة الشرعية على عظيم فضل الأخوة في الله. فمن ذلك:

أن الأخوة في الله طريق لمحبة الله تعالى:

فتحصيل محبة الله تعالى غاية قلوب الموحدين، وقد بينت النصوص أن محبة الله تعالى تتحصل بمحبة الأخوان وحسن عشرهم ومواساتهم وموالاتهم والتزاور بينهم.

- جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ)مسلم .

- عن أبي إدريس الخولاني قال: دخلت مسجد دمشق فإذا فتى شاب براق الثنايا وإذا الناس معه إذا اختلفوا في شيء أسندوا إليه وصدروا عن قوله، فسألت عنه فقيل هذا معاذ بن جبل، فلما كان الغد هجرت فوجدته قد سبقني بالتهجير، ووجدته يصلي قال: فانتظرته حتى قضى صلاته ثم جئته من قبل وجهه فسلمت عليه ثم قلت: والله إني لأحبك لله، فقال: آلله؟ فقلت: آلله، فقال: آلله؟ فقلت: آلله، فقال: آلله؟ فقلت: آلله، قال: فأخذ بحبوة ردائي فجبذني إليه وقال: أبشر فإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ) .احمد

ومن فضائل الأخوة: أن المتآخين في الله في ظل الله تعالى:

روى أبو هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي الْيَوْمَ؟ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي).مسلم

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ.. -وذكر منهم-: وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ) .البخاري

ويكفى المتاحبين والمتآخين في الله شرفاً وفضلاً أن يكونوا تحت عرش الله يوم يخاف الناس وتكون الشمس منهم مقدار ميل.

ومن فضائل الأخوة في الله أن المتآخين يغبطهم النبيون والشهداء، كما قال -صلى الله عليه وسلم-: (إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: "أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ")ابوداوود.

ومن فضائلها: أن الأخوة في الله طريق لحلاوة الإيمان واستكمال عراه:

يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (مَنْ أَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ وَأَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَنْكَحَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ).احمد

ويقول -صلى الله عليه وسلم-: (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ) .متفق عليه

ويقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ).متفق عليه

أيها المسلمون:

إن الأخوة الإيمانية واجب ديني، وفريضة شرعية، وليست مجرد موقف نفسي أو تنظير فلسفي، بل هي مجموعة من الأعمال تظهر إلى حيز الوجود، وتعبّر عن حقيقة الأخوة، ومن ذلك السلوك العملي المستلزم للمحبة في الله:

محبة المسلم في الله وموالاته، والمداومة على ذلك ما دام الأخ على عقد الإيمان: فتلك المحبة ليست أمراً اختيارياً بل هي من صميم إيمان المسلم، قال -صلى الله عليه وسلم-: (لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا).مسلم

وقد أرشد المصطفى -صلى الله عليه وسلم- المؤمنين أن يخبروا بعضهم بهذه المحبة، روى أنس بن مالك رضي الله عنه وغيره قال: "مَرَّ رَجُلٌ بِالنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَعِنْدَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَجُلٌ جَالِسٌ فَقَالَ الرَّجُلُ:" وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ هَذَا فِي اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (أَخْبَرْتَهُ بِذَلِكَ؟) قَالَ: لَا، قَالَ: (قُمْ فَأَخْبِرْهُ تَثْبُتْ الْمَوَدَّةُ بَيْنَكُمَا) فَقَامَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: أَنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ، أَوْ قَالَ: أُحِبُّكَ لِلَّهِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي فِيهِ).ابوداوود

وأرشد المصطفى صلى الله عليه وسلم المؤمنين أن يتعاهدوا هذه المحبة وينموها بطرق متعددة، منها الإهداء من غير تكلّف فقال -صلى الله عليه وسلم-: (تَصَافَحُوا يَذْهَبْ الْغِلُّ، وَتَهَادَوْا تَحَابُّوا وَتَذْهَبْ الشَّحْنَاءُ).مالك

وأرشدهم إلى السلام لإدامة المحبة فقال -صلى الله عليه وسلم-: (لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ).

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي هدانا إلى الإسلام، وبصرنا بالحلال والحرام، وأسبغ علينا نعماً كثيرة على الدوام، وصلى الله على عبده ورسوله نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، أما بعد:

فإن الأخوة في الله منة ينعم بها الله -تعالى- على عباده الصالحين، فتأتلف قلوبهم وتتوثق روابطهم؛ كما أنعم على الجيل الأول والرهط المبارك من الصحابة -رضوان الله عليهم- (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُم) (63 سورة الأنفال)، جاء هذا التأليف بعد امتحان للقلوب واختبار للنوايا، فلما صدقوا نزلت عليهم النعمة وغشيتهم الرحمة.

إن أول عمل قام به الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعد هجرته إلي المدينة -بعد بناء المسجد- هو مؤاخاته بين

المهاجرين والأنصار، إذ بهذه المؤاخاة شدت لبنات المجتمع الإسلامي إلى بعضها البعض، وارتفع صرح الجماعة الإسلامية عالياً متيناً، فاستعصى على محاولات الهدم والتخريب التي سعى بها يهود المدينة وأعوانهم من المنافقين والمرجفين، وقد ضربوا في ذلك أروع الأمثلة مما تفيض به كتب التاريخ وتزدان به مصنفات التراجم والسير، حتى قال القائل واصفاً موقف الأنصار من المهاجرين:

أبوا أن يملونا ولو أن أُمَّنا تلاقي الذي يلقون منا لملَّتِ

ولا عجب، فقد كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- معهم يسدد خطواتهم ويوجه أعمالهم، والقرآن الكريم يبني بهذه المجموعة المباركة مجتمع القدوة ومنارة التأسي ليستضئ المسلمون من بعدهم بنورهم الساطع، ويقتفوا آثارهم الواضحة، كلما ادلهمت بهم الخطوب، ونابتهم نوائب الحياة.

وفي زمان المادية الطاغية المعاصر الذي نعيشه، حيث يقاس كل إنسان بما يملك من أصول، ويوقر بقدر ما يحوز من نفوذ، ما أحوجنا إلى معنى الأخوة في الله! وما أعوزنا إلى أن نتحلى به وننشره بين المسلمين؛ حتى نجد حلاوة الإيمان، ونتذوق نعيم الأخوة الخالصة، وللأخوة الصادقة حلاوة لا يعرفها إلاّ من عاشها، حلاوة لا تدرك بمجرد العلم والمعرفة، وكما قيل:

لا يعرف الشوق إلاّ من يكابده ولا الصبابة إلاّ من يعانيها

والذين عاشوا الأخوة في الله، وجدوا الطمأنينة والسلام في عالم يعاني من القلق والتوتر، وتيقنوا أن الأخ الحقيقي ليس بالضرورة أن تلده أمك، فنعموا بالعديد من الإخوان ينتشرون في بقاع الأرض، بعضهم رأوهم وعايشوهم، وبعضهم تبادلوا معهم الحب الصافي، والمودة الخالصة على تباعد المسافات.

وقد حُكِيَ أن أحد الدعاة كان يجهش بالبكاء كلما زار بلداً أوروبيا، فيجد العديد من إخوانه يستقبلونه في المطار، ويعانقونه بشوق شديد، ويخدمونه وهو لم يرهم من قبل!

عباد الله: ما أسعد الإنسان عندما يعيش هذه المعاني الإيمانية الرفيعة، تلك المعاني التي لا تقف دونها لغة ولا أرض ولا بلد ولا لون، إنها معاني الأخوة في الله على دين الإسلام..

اللهم ألف على الخير بين قلوبنا، واجمع ما تفرق من أمرنا، اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللهم احفظنا بحفظك وانصرنا على القوم الكافرين..

اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.